دعوة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم دراسة تفسيرية

دكتورة

مي محمد هلال الحربي

أستاذ التفسير المساعد

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

من ٢٥٥٣ إلى ٢٦٠٢

المقدمــــة:

لقد كان قوم شعيب مع كفرهم أهل بخس وتطفيف في البيع والـشراء، فكـانوا يُطفِّفون الكيل والميزان، فينقصون مقدار ما يبيعونه، ويزيدون مقدار ما يشترونه، فدعوته عليه السلام كان فيها أحكام تشريعية، وخاصةً فيما يتعلق بقضية المال الـذي طُبعـت النفوس على حبه كما قال تعالى: "﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾"[(١)] ، فلذلك نجدُ أن هذه القضية قد أخذت مساحةً غير قليلة مـن دعوة شعيب عليه السلام، وخاصةً أن قومه قد احترفوا التجارة، وأغراهم المال، وكثرت النعم عليهم فبغوا وطغوا وأسرفوا، وأنقصوا الكيل والميزان، لذا أرسل الله شعيباً عليـه السلام يقومهم ويبين لهم القواعد الرشيدة في التصرف بهذه الأموال.

وبما أن قضية المال من أشق وأشد القضايا التي تحتاج معالجتها إلى حكمة ولطـف، ولما امتاز به شعيب عليه السلام من الفصاحة وعلو العبارة، والبلاغة، والصبر علـى أذى قومه، فقد عملوا جاهدين على أن يردوه ومن آمن معه إلى ملتهم تارة بالوعيد، وتـارة بالإغراء، ولكنه ــ عليه السلام ــ صبر وصابر وثبت على أمـر ربـه إلى أن أخـذهم الصيحة.

ولما لهذه الدعوة من أهمية وتعتبر درساً يستفاد منها في مجال الدعوة إلى الله، فقـد رغبت في إعداد بحث عن دعوة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم.

وقسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة.

---

(١) سورة الفجر الآيتان: ١٩-٢٠

الفصل الأول

دعوة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف

المبحث الأول: موطن شعيب

قال تعالى: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا " (١) .

أرسل الله نبيه شعيب إلى أهل مَدْيَنَ وهي أمة كبيرة ذات بطون وشعوب، وكانوا من أكبر قبائل الشام وأكثرهم عدداً، وكانوا قوماًعرباً يسكنون مدينتهم «مدين» التي هي قرية من أرض «معان» وهي أرض واقعة حول خليج العقبة من طرف نهايته الشمالية شمالي الحجاز وجنوبي فلسطين(٢) . وموطنهم بين الحجاز وخليج العقبة بقرب ساحل البحر الأحمر، وقاعدة بلادهم (وج) على البحر الأحمر، وتنتهي أرضهم من الشمال إلى حدود معان من بلاد الشام، وإلى نحو تبوك من الحجاز(٣) .

واختلفوا في مدين فقيل: إنه اسم البلد(٤).

وقيل: إنه اسم القبيلة بسبب أنهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام، ومدين صار اسم للقبيلة، كما يقال بكر وتميم(٥) .

وقال بعضهم: مدين اسم ماء نسب القوم إليه، واشتهر في القوم(٦) . ويترجح لي القول الثاني وهو أن مدين اسم للقبيلة.

---

(١) سورة الأعراف جزء من آية (٨٥).

(٢) العقيدة الإسلامية ص٤٤٦.

(٣) التحرير والتنوير (١٨٥/٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤٢٦/٢)، زاد المسير (١٥٥/٣)، التفسير (١٤١/١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/٧)، البحر المحيط (٤٢٩/٤)، روح المعاني (٥٥٩/٨).

(٥) وردت أقوال في اسم شعيب ونسبه انظر: تفسير البغوي (١٨٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/٧)، تفسير القرآن العظيم (٢٣١/٢)، البحر المحيط (٤٢٩/٤)، روح المعاني (٥٦٠/٨).

(٦) التفسير الكبير (٥٧/٢٥).

قال الرازي عن أن مدين اسم للقبيلة «كأنه أصح وذلك لأن الله أضاف الماء إلى مدين حيث قال " وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ " (١) ولو كان اسماً للماء لكانت الإضافة غير صحيحة أو غير حقيقية والأصل في الإضافة التغاير حقيقة»(٢).

المبحث الثاني: الخلاف حول أهل مدين:

اختلف العلماء في أهل مدين: هل هم أهل الأيكة؟ أم هم قومان مختلفان: أهل مدين وأهل الأيكة.

القول الأول:

قال قتادة: أرسل شعيب عليه السلام إلى أمتين: إلى قومه من أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة، قال: والأيكة غيضة من شجر ملتف(٣) وهو قول أكثر المفسرين(٤).

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة:

الأول: قال تعالى: " كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ "(٥) ولم يقل أخوهم، كما قال: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا "(٦)(٧).

الثاني: قال تعالى: " وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا

---

(١) سورة القصص آية (٢٣).

(٢) التفسير الكبير (٢٥/٥٧).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/٥١٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٥)، التحرير والتنوير (١٩/١٨٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/١٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٥)، روح المعاني (١٩/١٥٣)، التحرير والتنوير (١٩/١٨٨)، ونسبه لأكثر المفسرين.

(٥) سورة الشعراء آية (١٧٦-١٧٧).

(٦) سورة العنكبوت الآية (٣٦).

(٧) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤/٦٤)، المحرر الوجيز (٤/٢٤٢)، زاد المسير (٦/٤٩)، البحر المحيط (٧/٤٩)، تفسير أبي السعود (٦/٢٦١)، روح المعاني (١٩/١٥٣)، فتح القدير (٤/١١٤).

لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ " [١] فجعل ضميرهم مثنى باعتبار أنهم مجموع قبيلتين: مدين وأصحاب الأيكة، وإنما تُرسل الرسل من أهل المدائن وتكون الرسالة شاملة لمن حول القرية[٢].

الثالث: أنه ذكر عذابهم بيوم الظُّلة، وذكر في أهل مدين الرجفة والصيحة[٣].

القول الثاني:

ذهب إليه ابن كثير[٤] وهو أن أهل مدين هم أصحاب الأيكة[٥] قال ابن كثير:« (إذا قال لهم شعيب) فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه (وهو عبادة الأيكة)، وإن كان أخاهم نسباً، ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين فزعم أن شعيباً عليه السلام بعثه الله تعالى إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم ... والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة»[٦].

.. ويُرد على الدليل الثاني بأن الضمير في قوله تعالى: " وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ " فالضمير (انهما) يعني: مدينة قوم لوط ومدينة قوم شعيب[٧].

ويُرد على الدليل الثالث: أن المغايرة في أنواع العذاب إن كانت تقتضي المغايرة في

---

(١) سورة الحجر آية (٧٨-٧٩).

(٢) التحرير والتنوير (٨٩/١٩).

(٣) فتح الباري (٥١٨/٦).

(٤) ابن كثير: اسماعيل ابن عمر بن كثير بن ضوير القرشي البصروي ثم الدمشقي، ابن الفداء، عماد الدين (٧٠١-٧٧٤هـ) حافظ مؤرخ فقيه ولد في قرية من أعمال بصرى الشام وانتقل مع أخ له إلى دمشق (٧٠٦هـ) ورحل في طلب العلم من أشهر كتبه: (البداية والنهاية)، تفسير القرآن العظيم. انظر: البدر الطالع (١٥٣/١)، شذرات الذهب (٢٣١/٦)، الاعلام (٣٢٠/١)

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٤٥/٣).

(٦) المرجع السابق.

(٧) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢٠٨/٣)، التحرير والتنوير (٥٧/١٣).

المعذبين فليكن الذين عذبوا بالرجفة غير الذين عذبوا بالصيحة، والحق إنهم أصابهم جميع ذلك، فإنهم أصابهم حر شديد فخرجوا من البيوت فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فرجفت بهم الأرض من تحتهم وأخذتهم الصيحة من فوقهم[١] .

ولا تعارض بين الرجفة والصيحة. قال الرازي[٢]: «لا تعارض بينهما فإن الصيحة كانت سبباً للرجفة، إما لرجفة الأرض إذ قيل إن جبريل صاح فتزلزلت الأرض من صيحته، وإما لرجفة الأفئدة فإن قلوبهم ارتجفت منها، والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب، إذ يصح أن يقال روى فقوي، وأن يقال شرب فقوي في صورة واحدة»[٣].

ويظهر لي أن أصحاب الأيكة هم أصحاب مدين أنفسهم نُسبوا إليها لأنهم كانوا يعبدونها، وهو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني لقوة ما أجابوا به عن أدلة القول الأول.

وقد جاء ذكر أهل مدين مضافاً إلى قريتهم في سبع سور من القرآن الكريم[٤] وسموا أصحاب الأيكة في أربع سور[٥] .

---

(١) فتح الباري (٦/٥١٩).

(٢) الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري، الرازي الشافعي، (٥٤٤-٦٠٤هـ) الإمام المفسر، قرشي النسب، أصله من طبرستان ومولده في الري وإليه نسبته، ورحل إلى خوارزم وخراسان، توفي في هراة من أشهر كتبه (مفاتيح الغيب) التفسير الكبير، (المحصول في علم الأصول). انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٤٨-٢٥٢)، معجم المؤلفين (١١/٧٩-٨٠)، الأعلام (٦/٣١٣).

(٣) التفسير الكبير (٢٥/٥٨)، وانظر: تفسير أبي السعود (٧/٣٩).

(٤) في سورة الأعراف الآية (٨٥)، وفي سورة التوبة، الآية: (٧٠)، وفي سورة هود، الآيتان (٨٤-٩٥)، وفي سورة طه، الآية (٤٠)، وفي سورة الحج، الآية (٤٤)، وفي سورة القصص، الآيات (٢٢-٢٣-٤٥)، وفي سورة العنكبوت، الآية (٣٦).

(٥) في سورة الحجر، الآيتان (٧٨-٨٠)، وفي سورة الشعراء، الآيتان (٦١-١٧٦)، وفي سورة ص، الآية (١٣)، وفي سورة ق، الآية (١٤).

المبحث الثالث: دعوة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف

قال تعالى: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)".

ابتدأت هذه الآيات بقوله تعالى: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا " (١) وبين تعالى أن

---

(١) سورة الاعراف آية (٨٥).

شعيب عليه السلام أمر قومه في هذه الآية بأشياء: الأول: قوله : "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" فأمرهم بعبادة الله، ونهاهم عن عبادة غير الله، وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء[١] . ويؤكد ذلك بقوله "قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" وفي هذه الآية دليل على أنه جاء بالمعجزة، إذا كل نبي لا بد له من معجزة تدل على صدقه، ولم تذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا ﷺ[٢].

الثاني: قوله: "فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ" بعد أن أمرهم بالتوحيد الذي هو أصل لسعادة الدارين لجده ــ عليه السلام ــ يخطو خطوة أخرى تتصل بالجوانب الحياتية: اجتماعية واقتصادية، تلك التي كانت تنتشر فيهم، وهي من السيئات التي لا تنتج إلا البوار والدمار.

لذا كان أول ما أمرهم بعد التوحيد هو إيفاء الكيل والميزان وذلك لأن قوم شعيب كانوا مشغوفين بالبخس والتطفيف[٣].

والفرق بين الكيل والميزان أن الميزان له استعمالاته الخاصة، حيث أن الميزان يوزن فيه البضائع المتماسكة المتينة ذو شكل ومقاس محدود، كذلك توزن أعمال الناس كوحدة قياسية ... أما المكيال فله صفات معينة وخواص واستعمالات مختلفة عن الميزان حيث أن استعماله في البضائع التي لها وزن أو حجم غير متماسك مثلاً كالحبوب والغلال ... ولهذا يستعمل المكيال فيها والتي بينها الله تعالى لنا في سورة يوسف حيث كان استعمالهم للمكيال[٤] .

الثالث: "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" .

بعد أن أمرهم بالوفاء في الوزن والمكيال يأتي على شيء من التفصيل أكثر في حياتهم،

---

(١) التفسير الكبير (١٤/١٤١).

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/١٩٧)، الكشاف (٢/٤٧١)، التفسير الكبير (١٤/١٤١)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٤٨)، تفسير أبي السعود (٣/٢٤٧)، روح المعاني (٨/٥٦١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/٤٢٦)، التفسير الكبير (١٤/١٤١)، روح المعاني (٨/٥٦٢).

(٤) المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب (ص/٥٧).

فينهاهم عن البخس في معاملاتهم كلها، ويدخل فيه المنع من الغصب والسرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق، وانتزاع الأموال بطريق الحيل[١].

والبخس يكون في السلعة بالتعيب والتزهيد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه، وكل ذلك من أكل المال بالباطل، وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٢] . والمراد من الناس ما يعمهم وغيرهم أي: لا تبخسوا غيركم ولا يبخس بعضكم بعضاً[٣] .

والمراد بقوله (أشياءهم) أموالهم وأمتعتهم مما يكال أو يوزن[٤]. والصحيح أن قوله (أشياءهم) عامة في كل شيء وذلك لأن دعوة شعيب عليه السلام جاءت لإصلاح جوانب الحياة كلها، ولم يكتف بإيفاء الوزن والمكيال.

قال أبو حيان[٥]: (أشياءهم) عام في كل شيء لهم[٦].

الرابع: قوله: " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا " قوله تعالى (ك ك) لفظ يعم دقيق الفساد وجليله[٧] ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم وتغوير أنهارهم، ومن الفساد في الأرض الكفر بالله والوقوع في معاصيه[٨] .

---

(١) التفسير الكبير (١٤/١٤٢)، روح المعاني (٨/٥٦١).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٥٩)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٤٨).

(٣) روح المعاني (٨/٥٦٢).

(٤) المحرر الوجيز (٢/٤٢٦).

(٥) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي (أثير الدين) (٦٥٤-٧٤٥هـ) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي بعد أن كف بصره من أشهر كتبه (البحر المحيط)، (تحفة الأريب). انظر: شذرات الذهب (٦/١٤٥)، معجم المؤلفين (١٢/١٣٠).

(٦) البحر المحيط (٢/٤٣١).

(٧) المحرر الوجيز (٢/٤٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٤٨)، فتح القدير (٢/٢٢٤).

(٨) فتح القدير (٢/٢١٣).

وفي الآية نهي الإفساد في الأرض بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان[١].

وقد بين الله تعالى أن قوم شعيب فسدوا في الأرض بعدم الوفاء بالكيل والميزان وببخس حقوق الناس وخيانتهم للناس في أموالهم بأخذها بغير حل، وذلك بالغش والحيل التي تنتزع أموال الناس بطرق ملتوية غير شرعية.

﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين[٢].

والإشارة بـ(ذلكم) إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان، وترك البخس، والإفساد في الأرض، أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه[٣]. وأخبر عنه بأنه (خيرٌ) لهم، والتنكير في قوله (خير) للتعظيم والكمال لأنه جامع بين خيري الدنيا والآخرة[٤].

ففيه نفع وصلاح وسعادة تتحقق في الدنيا وذلك بالزيادة مطلقاً، أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرهم[٥].

وفيه خير الآخرة لأن ذلك إن فعلوه امتثالاً لأمر الله تعالى بواسطة رسوله أكسبهم رضى الله، فنجوا من العذاب، وسكنوا دار الثواب[٦] ولكن هذا (الخير) مقيد بشرط الإيمان بقوله (إن

---

(١) البحر المحيط (٤٠٢/٤).

(٢) البحر (٤٠٢/٤).

(٣) انظر: الكشاف (٤٧٢/٢)، البحر المحيط (٤٣١/٤)، فتح القدير (٢٢٤/٢)، التحرير والتنوير (١٨٩/٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٩٠/٨).

(٥) تفسير أبي السعود (٣٤٧/٣)، وانظر: البحر المحيط (٤٣١/٤)، فتح القدير (٢٢٤/٢)، روح المعاني (٥٦٢/٨).

(٦) التحرير والتنوير (١٩٠/٨).

كنتم مؤمنين) فلا ينفع عمل دون إيمان[١].

وبعد هذه الخصال الأربع أعني الشرك، والتطفيف، وبخس الحق، والإفساد في الأرض ينهاهم عن خصلة خامسة لا تقل خطراً عن سابقاتها، فإذا كانت الخصال السابقة تتعلق بالقضايا المادية فإن هذه تتصل بجانب آخر من جوانب الحياة، وهو الجانب الفكري والروحي وهي قوله " وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ " حيث كانوا يقعدون في الطرقات العامة التي يمر عليها المسافرون، ويقطعون عليهم الطريق، ويصادرون أموالهم ظلماً وعدواناً[٢] (والقعود نقيض القيام يقال قَعَدَ يقعدُ قعوداً أي جلس، والمقاعد موضع قعود الناس في الأسواق وغيرها[٣]. ويقال للترصد للشيء بالقعود له[٤].

" بِكُلِّ صِرَاطٍ " في المراد بالصراط قولان:

الأول: يحمل الصراط على الطريق الذي يسلكه الناس، روي أنهم كانوا يجلسون في الطرقات ويخوفون من آمن بشعيب عليه السلام.

القول الثاني: يحمل الصراط على مناهج الدين[٥] .

قال الزمخشري[٦]: (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ) ولا تقتدوا بالشيطان في قوله

---

(١) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/١٩٧)، البحر المحيط (٤/٤٣١)، روح المعاني (٨/٥٦٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٤٩)، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣١)، روح المعاني (٨/٥٦٣).

(٣) لسان العرب (٣/٣٥٧) مادة [قعد].

(٤) المفرادت (ص٤٠٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٢/٤٢٧)، التفسير الكبير (١٤/١٤٢)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٤٩)

(٦) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، جار الله، أبو القاسم، (٤٦٧-٥٣٨هـ) من العلماء بالتفسير والدين واللغة والآداب، ولد في زمخشر من قرى خوارزم وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً، فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي بها، من أشهر كتبه (الكشاف) و (أساس البلاغة). انظر: معجم المؤلفين (١٢/١٨٦)، الأعلام (٧/٢١٥).

"لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ "[١] فتقعدوا بكل صراط، أي: بكل منهاج من مناهج الدين، والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله "وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ "[٢][٣] هذا ويظهر لي أن القول الأول هو ما رجحه ابن كثير حيث قال عنه: (والأول أظهر لأنه قال (بكل صراط) وهو الطريق)[٤].

(وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) أي: تصرفون عن دين الله من آمن به[٥].

" وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا" العَوَجُ: الانعطاف فيما كان قائماً فمال كالرُّمح والحائط، وكل ما كان قائماً يقال فيه العَوجَ بالفتح، والعِوَج في الأرض أن لا تستوي، وعِوَج الطريق وعَوجَه: زيغه، وعِوج الدين التّين والخُلُق فساده[٦].

أي وتودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة[٧]. وفي الآية نهي لهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال بأحد هذه الأمور الثلاثة أعني (توعدون ـ وتصدون عن سبيل الله ـ وتبغونها عوجاً) ولما عطف بعض هذه الثلاثة على البعض، وجب حصول المغايرة بينها. فقوله (توعدون) يحصل بذلك إنزال المضار بهم، وأما الصد فقد يكون بالإبعاد بالمضار، وقد يكون بالوعد بالمنافع بما لو تركه، وقد يكون بأن لا يمكنه من الذهاب إلى الرسول ليسمع كلامه، وأما قوله (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) فالمراد إلقاء الشكوك والشبهات[٨].

وبعد هذا النهي والتحذير والإرشاد من شعيب ـ عليه السلام ـ أهاب بهم أن

---

(١) سورة الأعراف آية (٧).

(٢) سورة الأعراف آية (٨٦).

(٣) الكشاف (٢/٤٧٢-٤٧٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٢).

(٥) زاد المسير (٣/١٥٦).

(٦) لسان العرب (٢/٣٣١) مادة عوج.

(٧) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص/٢٩٦).

(٨) التفسير الكبير (١٤/١٤٣).

يتذكروا نعم الله عليهم، فيذكروها ويشكروها بقوله: " وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ". قال الزجاج[١]: (جائز أن يكون (فَكَثَّرَكُمْ) جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء، وجائز أن يكون كان عددهم قليلاً فكثرهم، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرهم، إلا أنه ذكرهم بنعمة الله عليهم، كما قال " فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ "[٢] أي نعم الله)[٣].

وبعد أن رغبهم باعتبار هذه النعمة ومقابلتها بالشكر والطاعة، انتقل إلى الترهيب بأن يعتبروا بغيرهم من الأمم الذين أفسدوا فاهلكوا بقوله " وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ " والمعنى تذكروا عاقبة المفسدين وما لحقهم من الخزي والنكال، كقوم نوح وهود وصالح ولوط، ليصير ذلك زاجراً لكم عن العصيان والفساد[٤].

ثم نجده ــ عليه السلام ــ يتلطف في خطابهم بهذا الأسلوب الذي يمتلئ رقة وإشفاقاً فإن كان منكم قوم آمنوا بما أرسلت به، وآخرون اختاروا الكفر، فليصبر هؤلاء وأولئك، بقوله " وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ".

(حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم، وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم، ووعد للمؤمنين وحث لهم على الصبر،

---

(١) الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري بن سهل بن الزجاج النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين من كتبه (معاني القرآن) و (الامالي) توفي ببغداد سنة ٣١١هـ انظر: وفيات الأعيان (١/٤٩-٥٠)، الأعلام (١/٤٠).

(٢) سورة الأعراف آية (٧٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٨٧).

(٤) انظر: الكشاف (٢/٤٧٣)، التفسير الكبير (١٤/١٤٣)، البحر المحيط (٤/٤٣٤)، تفسير أبي السعود (٣/٢٤٨)، روح المعاني (٨/٥٦٤).

واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين[١]. والمقصود من الترغيب والترهيب أهل قريش الذين يسمعون هذه القصة وتسلية قلوب المؤمنين[٢].

وأمام هذه المواعظ من شعيب ـ عليه السلام ـ أصر قومه على الكفر والتكذيب بل وصل بهم الأمر إلى أن توعدوا شعيب، ومن آمن معه، فهم بين أمرين: إما أن يرجعوا عن دينهم الجديد وإلا فأنهم سيخرجونهم من بلدهم بالقوة. قال تعالى: " قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا " . لقد وصفهم هنا بالاستكبار دون الكفر لمناسبة مخاطبتهم شعيباً بالإخراج أو بالإكراه على اتّباع دينهم، وذلك من فعل الجبارين أصحاب القوة. وأكدوا التوعُّد بلام القسم ونون التوكيد (لَنُخْرِجَنَّكَ)[٣] .

قوله (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا) يدل أنه ـ عليه السلام ـ كان على ملتهم التي هي الكفر، وقوله " قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم " [٤] يدل أيضاً على هذا المعنى والجواب من وجوه:

الأول: أن أتباع شعيب ـ عليه السلام ـ كانوا قبل دخولهم في دينه كفاراً فخاطبوا شعيباً بخطاب أتباعه وأجروا عليه أحكامهم[٥].

الثاني: أن رؤساءهم قالوا ذلك على وجه التلبيس على العوام يوهمون أنه كان منهم،

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١٨٠/٢)، الكشاف (٤٧٣/٢)، تفسير أبي السعود (٢٤٨/٣)، البحر المحيط (٤٣٥/٤).

(٢) التفسير الكبير (١٤٣/١٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٩٥/٨).

(٤) سورة الأعراف آية (٨٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٨/٢)، تفسير البغوي (١٨١/٢)، الكشاف (٢٧٤/٢)، زاد المسير (١٥٧/٣)، التفسير الكبير (١٤٤/١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/٧)، تفسير القرآن العظيم (٢٣٢/٢)، البحر المحيط (٤٣٧/٤)، روح المعاني (٦/٩).

وأن شعيباً ذكر جوابه على وفق ذلك الإيهام[١].

الثالث: أن شعيباً في أول أمره كان يخفي دينه ومذهبه، فتوهموا أنه كان على دين قومه[٢].

الرابع: المراد من قوله (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) أي لتصيرن إلى ملتنا فوقع العود بمعنى الابتداء، تقول العرب: قد عاد إلي من فلان مكروه، يريدون قد صار إلى منه المكروه ابتداء[٣].

وأمام هذا التهديد بالإخراج من القرية، صدع شعيب بالحق مستمسكاً بملته، كارهاً أن يعود إلى ملتهم " قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ " فالهمزة لإنكار الوقوع ونفيه لا لإنكار الواقع واستقباحه[٤]. هذا ونفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الأمر بالعكس فإن نفيه في حال الإرادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعاً[٥].

ويتابع شعيب عليه السلام مواجهته لقومه، فيبين استحالة عودته إلى ملة الكفر، لأن العود يستلزم كذبه فيما بلغه عن الله تعالى بقوله: " قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا " .

الفرية: الكذب. فريَ كذباً فرياً وافتراه: اختلقه والفري: الأمر العظيم[٦]. ومعنى الآية: شققنا بالقول واختلفنا[٧].

ونجاة شعيب عليه السلام من ملتهم كانت من أول أمره، ونجاة من آمن معه كانت بعد

---

(١) التفسير الكبير (١٤٤/١٤)، البحر المحيط (٤٣٧/٤)، روح المعاني (٧/٩).

(٢) المراجع السابقة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٨/٢)، تفسير القرآن لأبي المظفر (١٩٨/٢)، زاد المسير (١٥٧/٣)، التفسير الكبير (١٤٤/١٤).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود (٢٤٩/٣)، روح المعاني (٧/٩).

(٥) انظر: المرجعين السابقين.

(٦) لسان العرب (١٥٤/١٥) مادة (فرا).

(٧) المحرر الوجيز (٤٢٨/٢).

مواقعة الكفر[١]. فمن أحس بلذة الإيمان كره الرجوع إلى الكفر كما في الحديث الذي جاء فيه خصال من أتصف بالإيمان « ... وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»[٢] .

فشعيب ــ عليه السلام ــ يعلن عدم الرجوع إلى دينهم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ تأدب مع الله وتفويض أمره وأمر المؤمنين إليه، أي إلا أن يقدر الله لنا العود في ملتكم فإنه لا يسأل عما يفعل، فأما عود المؤمنين إلى الكفر فممكن في العقل حصوله وليس في الشرع استحالته، والارتداد وقع في طوائف من أمم[٣] .

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ﴾ معناه وسع علم ربنا كل شيء كما تقول تصبب زيد عرقاً أي تصبب عرق زيد[٤]. وفيها تفويض لعلم الله، إذ هو وسع كل شيء علماً.

ثم ختم نبي الله شعيب ــ عليه السلام ــ محاجته لكفار قومه بالدعاء والتوكل على الله فقال " عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ " .

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ التوكل عليه سبحانه إظهار العجز والاعتماد عليه جل شأنه[٥] وعلى الله توكلنا في دفع ما توعدتمونا به وفي حمايتنا من الضلال[٦]. وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للمبالغة في التضرع والجوار[٧]. وتقديم الجار والمجرور على فعل (توكلنا) لإفادة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه مع شرح النووي، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١٣/٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٩٩/٨).

(٤) المحرر الوجيز (٤٢٩/٢).

(٥) روح المعاني (٩/٩).

(٦) انظر: تفسير البغوي (١٨٢/٢)، البحر المحيط (٤٣٩/٤).

(٧) تفسير أبي السعود (٢٥١/٣).

الاختصاص تحقيقاً بمعنى التوحيد ونبذ غير الله[١].

وقوله ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ إعراض عن مقاولتهم إثر ما ظهر له عليه الصلاة والسلام أنهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الإيمان أصلاً وإقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين أي احكم بيننا بالحق[٢].

والفتاح اسم من أسماء الله الحسنى.

قال الفراء[٣]: يريد اقض بيننا، وأهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح[٤].

وبعد أن يئس الكفار من عودة شعيب عليه السلام لجأوا إلى الذين آمنوا معه منذرين ومحذرين لأنهم إن اتبعوا شعيباً ـ عليه السلام ـ فسيكونون من الأخسرين " ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠)﴾ ".

عُطفت جملة (﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾) ولم تفصل كما فصلت التي قبلها لانتهاء المحاورة المقتضية فصل الجمل في حكاية المحاورة[٥].

واختلف في الخاسرون فقال بعضهم: خاسرون في الدين[٦]. وقال بعضهم: خاسرون في الدنيا لأنه يمنعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس[٧]. ولا مانع من الجمع بين القولين فالمعنى

---

(١) روح المعاني (٩/٩)، التحرير والتنوير (٨/٢٠١).

(٢) تفسير أبي السعود (٣/٢٥١)، روح المعاني (٩/١٠).

(٣) الفراء: هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبدالله الديلمي المعروف بالفراء، كان أبرع الكوفيين بالنحو، أخذ عن الكسائي ويونس بن حبيب، من مصنفاته (معاني القرآن)، و(النوادر)، و(مجاز القرآن) توفي سنة (٢٠٦هـ) انظر: طبقات النحويين (ص/١٣١)، بغية الوعاة (٢/٣٣٣).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/٣٨٥).

(٥) التحرير والتنوير (٨/٢٠١).

(٦) التفسير الكبير (١٤/١٤٨)، تفسير أبي السعود (٣/٢٥١).

(٧) الكشاف (٤/٤٧٧)، التفسير الكبير (١٤/١٤٨)، تفسير أبي السعود (٣/٢٥١).

متقارب.

وهنا تحق عليهم الكلمة، ويأخذهم العذاب، ويبين الله تبارك وتعالى أن أولئك الذين كذبوا شعيباً، وحكموا على الذين اتبعوه بالأخسرين، هم الذين وقعوا في الخسران " فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ " وهي الزلزلة الشديدة[١] "فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ " يقال جثم الطائر، أي تلبد بالأرض، وكذلك الإنسان ويقال رجلٌ جُثَمَةُ للنووَّم الذي لا يسافر[٢]. (جَاثِمِينَ) أي: خامدين ميتين، ومنه الرماد الجاثم، وقيل: جاثمين أي: خارين على ركبهم ووجوههم[٣].

والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش[٤].

"الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا "

قال الزجاج: (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) كأن لم يعيشوا فيها مستغنين[٥] فشبه الله حال هؤلاء المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها[٦]. وفيه قوة الإخبار عن هلاكهم وحلول المكروه بهم، والتنبيه على الاعتبار بهم، كقوله تعالى "فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ "[٧][٨].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/١٨٢)، المحرر الوجيز (٢/٤٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٥٠)، تفسير أبي السعود (٣/٢٥٢).

(٢) انظر: الصحاح (٥/١٨٨٢) مادة [جثم]، معجم مقاييس اللغة (١/٥٠٥) مادة [جثمُ ، المفردات (ص/٨٨)، مادة [جثم].

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/١٩٤)، الكشاف (٢/٤٦٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٣/٢٤٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٢٩٠).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٢).

(٧) سورة يونس آية (٢٤).

(٨) انظر: المحرر الوجيز (٢/٤٣٠)، البحر المحيط (٤/٤٤١).

" ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ " .

كرر قوله (ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا) لتعظيم المذلة لهم وتفظيع ما يستحقونه من الجزاء على جهلهم، والعرب تكرر مثل هذا في التفخيم والتعظيم[١]. وأيضاً أن القوم لما قالوا (لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ) بين تعالى أن الذين لم يتبعوه هم الخاسرون[٢].

" فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾" .

أي أعرض عنهم شعيب ـ عليه السلام ـ أثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزن عليهم. وقيل إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته ـ عليه السلام ـ لعلاماته تولى ذاهب عنهم منكر لإصرارهم على ما هم عليه[٣].

ويظهر لي القول الأول وهو أن شعيب ـ عليه السلام ـ تولى عنهم بعد هلاكهم. قال أبو حيان: «أن هذا التولي كان بعد هلاكهم، ومشاهدة ما جرى عليهم فيكون الخطاب على سبيل التفجع عليهم والتحسر، لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا والاغتمام لهم، وليسمع ذلك من كان معه من المسلمين فيزدادوا إيماناً، وانتفاء عن معصية الله، واقتضاء لما جاء به نبيه عن الله»[٤].

وبعد مشاهدته لهلاكهم قال (وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾" .

كقول الرسول ﷺ لقتلى بدر «هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً» فقيل أتكلم هؤلاء الجيف؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي

---

(١) انظر: الكشاف (٤٧٧/٢)، زاد المسير (١٥٨/٣)، التفسير الكبير (١٤٩/١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/٧).

(٢) التفسير الكبير (١٤٩/١٤).

(٣) انظر: الكشاف (٤٦٨/٢)، البحر المحيط (٤٢٥/٤)، تفسير أبي السعود (٢٤٤/٣).

(٤) البحر المحيط (٤٢٥/٤).

شيئاً»[(١)].

لقد أدى شعيب ــ عليه السلام ــ واجبه في تبليغ رسالة ربه بالترغيب والترهيب، وصبر عليهم بكل ما استطاع، فلم ينفعهم ذلك، عندئذ قال مخاطباً نفسه ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ الأسى الحزن وحقيقته إتباع الفائت بالغمّ، يقال أسِيتُ عليه وأسيتُ له[(٢)].

والمعنى فكيف أحزن على من لا يستحق أن يحزن عليه ونبه على العلة التي لا تبعث على الحزن وهي الكفر إذ هو أعظم ما يعادى به المؤمن إذا هما نقيضان[(٣)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٠٦/١٧).

(٢) المفردات (ص/١٨) مادة (أسا).

(٣) انظر: البحر المحيط (٤٤٢/٤)، تفسير أبي السعود (٢٥٢/٣).

الفصل الثاني: قصة شعيب في سورة الشعراء وهود والعنكبوت

المبحث الأول: قصة شعيب في سورة الشعراء

قال تعالى: "كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾".

تبدأ بقوله "كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ"(١) . لم يقرن فعل (كذب) بعلامة التأنيث لأن (أصحاب) جمع صاحب وهو مذكر معنى ولفظاً بخلاف قوله "أ قَوْمُ لُوطٍ "(٢) فإن (قوم) في معنى الجماعة والأمة(٣).

وقرئت (لَيكَةَ)(٤) بلام مفتوحة بعدها ياء تحتية ساكنة ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، وقرأه الباقون (الأيكة) بحرف التعريف بعده همزة مفتوحة(٥) والأيكة هي

---

(١) سبق توضيح هل أصحاب الأيكة هم أهل مدين في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٢) سورة الشعراء آية (١٦٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٨٨/١٩).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر.

(٥) انظر: النشر (٣٣٦/٢)، والمهذب (٩٦/٢)، والسبعة ص/٤٧٣، حجة القراءات ص/٥١٩.

الدوحة الملتفة من الشجر على الإطلاق [١] وقيل: من شجر معروف له غضارة تألفه الحمام والقماري ونحوها[٢].

"إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾".

وذلك لأن دعوة الأنبياء عليهم السلام كلها واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة[٣] ثم بدأ يوجه لهم هذه الأوامر التي اشتهرت فيهم بكل إيجاز من إيفاء الكيل (أوفوا الكيل) والوفاء ضد الغدر، ومن قال أوفى فمعناه أوفاني حقه أي أتمه ولم ينقص منه شيئاً، ويقال وفى الكيل أي تم[٤].

ومعنى (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) لاتكونوا من المطففين، وصوغ (من المخسرين) أبلغ من (لاتكونوا مخسرين) لأنه يدل على الأمر بالتبرؤ من أهل هذا الضيع[٥].

ولما أمر بالإيفاء بين كيف يفعل فقال (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (القسطاس) الميزان ويعبر به عن العدالة كما يعبر عنها بالميزان[٦] ثم نهاهم عن الظلم والبخس عامة في كل حق فقال (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والأمر بإيفائه اهتماماً بشأنه وترغيباً في إيفاء الحقوق بعد الترهيب

---

(١) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤/٦٤)، تفسير البغوي (٣/٣٩٧)، تفسير الطبري (١٩/١٢٣)، المحرر الوجيز (٤/٢٤٢)، التفسير الكبير (٢٤/١٤٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٤)، تفسير أبي السعود (٦/٢٦٢)، فتح القدير (٤/١١٤)، روح المعاني (١٩/١٥٣).

(٢) المحرر الوجيز (٤/٢٤٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٥).

(٤) انظر: لسان العرب (١٥/٣٩٨) مادة (وفى)، المفردات (ص/٥٢٨) مادة (وفى).

(٥) التحرير والتنوير (١٩/١٩٠).

(٦) المفردات (ص/٤٠٣) مادة [قسط].

والزجر عن نقصها[١].

ثم عم بعبارته فقال ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فأن العثى يعم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد[٢]. ويقال عَثا عُثواً وعَثى أفسد أشد الإفساد ويقال عَثِي في الأرض عُثِياً إذا أفسد[٣].

تعثوا معناه: تسعون فساداً، وكرر (مفسدين) على جهة التأكيد، يقال عثا يعثو أو عثي يعثى إذا أفسد، والعثة الدودة التي تفسد ثياب الصوف[٤].

والعثى في الأرض نحو السرقة، والغارة، وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عبثاً منهم في الأرض[٥].

(مفسدين) حال من ضمير (تعثوا)، وفائدة ذلك إخراج ما يقصد به الإصلاح، كما فعل الخضر — عليه السلام — من قتل الغلام، وخرق السفينة، وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم[٦].

وهكذا نرى أن أسلوب شعيب — عليه السلام — في الدعوة إلى الله هو التدرج في النصح حيث بدأهم أولاً بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله، وهي نقص المكيال والميزان، ثم ارتقى إلى عام وهو الأمر بإيفائها، ثم إلى أعم منه وهو النهي عن نقص الناس أشياءهم، ثم نهاهم عن الإفساد في الأرض، وذلك مبالغة في النصح لهم، ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله[٧].

ثم أكد — عليه السلام — الأمر بالتقوى بقوله ﴿وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ

(١) انظر: التفسير الكبير (٣٥/١٨)، أنوار التنزيل (١١٦/٣).

(٢) تفسير أبي السعود (٢٣١/٤).

(٣) لسان العرب (٢٩/١٥) مادة (عثا).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٩٩/٣).

(٥) انظر: الكشاف (٢٢٤/٣)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٤).

(٦) انظر: تفسير أبي السعود (٢٣٢/٤)، روح المعاني (٤٢١/١٢).

(٧) البحر المحيط (٣٢٩/٥).

ٱلْأَوَّلِينَ) والجِبْلَةُ بالكسر: الخِلْقَةُ يقال للرجل إذا كان غليظاً أنه لذو جِبْلَة[١] . والمعنى كما انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم من غير مشارك له في ذلك، فأفردوه بالعبادة والتوحيد، وكما أنعم عليكم بالإيجاد والإمداد بالنعم فقابلوه بشكره[٢] وقيل الجبلة: الأولين الماضين[٣].

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا (قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ). ادخل الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلاً من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب[٤] (وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ) أي فيما تدعيه من النبوة[٥].

وشعيب ـــ عليه السلام ـــ كان يتوعدهم بالعذاب إن استمروا على التكذيب[٦] فقالوا له " فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ".

قرى كسفاً بفتح السين وسكونها[٧]، وكلاهما جمع كسفة الكسفة القطعة من الغيم[٨] وقوم شعيب إنما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فظنوا إنه إذا لم يقع ظهر كذبه فعند ذلك قال شعيب ـــ عليه السلام - "رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ".

---

(١) الصحاح (١٦٥٠/٤) مادة (جبل).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص/٥٩٧).

(٣) تفسير النسفي (١٩٤/٣).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٤١/٢٤)، تفسير النسفي (١٩٤/٣)، تفسير أبي السعود (٢٦٢/٦)، روح المعاني (١٥٤/١٩).

(٥) انظر: تفسير أبي السعود (٢٦٢/٦)، فتح القدير (١١٥/٤).

(٦) انظر: التفسير الكبير (١٤١/٢٤)، فتح القدير (١١٥/٤).

(٧) قرأ حفص (كَسفا) بفتح السين وأسكنها الباقون انظر: التذكرة في القراءات الثمان (٤٧٢/٢)، المستنير في القراءات العشر (٣٣٦/٢)، الإقناع (٧١٧/٢).

(٨) معجم مقاييس اللغة (١٧٨/٥) مادة (كسف).

فلم يدع عليهم بل فوض الأمر إلى الله تعالى، فلما استمروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب[١] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ قال المفسرون[٢]: بعث الله عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادى بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً، فكان ذلك من أعظم العذاب ووصف الله تعالى ذلك العذاب بقوله "إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾" أي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة[٣] " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ " أي في ذلك لآية لكفار قريش إذا كان حالهم كحال أصحاب ليكة فقد كانوا من المطففين مع الإشراك[٤] قال تعالى " وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ " إلى قوله "لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾"[٥].

"وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾" العزيز في انتقامه من الكافرين، الرحيم بعباده المؤمنين[٦] .

---

(١) التفسير الكبير (١٤١/٢٤)، البحر المحيط (٥٠٠/٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٦٥/٤)، تفسير البغوي (٣٩٨/٣)، الكشاف (٤١٤/٤)، زاد المسير (٥٠/٦)، التفسير الكبير (١٤١/٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/١٣)، تفسير النسفي (١٩٥/٣)، تفسير القرآن العظيم (٣٤٦/٣)، تفسير أبي السعود (٢٦٣/٦)، فتح القدير (١١٦/٤)، روح المعاني (١٥٥/١٩).

(٣) تفسير أبي السعود (٢٦٣/٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٩)، التحرير والتنوير (١٩٣/١٩).

(٥) سورة المطففين الآية (١-٥).

(٦) تفسير الطبري (١٢٨/١٩)، تفسير القرآن العظيم (٣٤٧/٣).

المبحث الثاني: قصة شعيب في سورة هود

قال تعالى: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ
مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ
قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا
رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ
وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ
وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ".

في سورة هود التي يقول في شأنها الرسول ﷺ: «شيبتني هود»[١] بدأت السورة الحديث عن شعيب بعد الحديث عن نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم ولوط عليهم السلام وتبدأ قصة شعيب بأمر قومه بالتوحيد بقوله ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ ثم ينهاهم بأسلوب مؤجز عما اشتهروا به من خصال سيئة وهو نقص المكيال والميزان ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ . النقص فيه على وجهين[٢]:

أحدهما: أن يكون الإيفاء من قبلهم فينقصون من قدره.

الآخر: أن يكون لهم الاستيفاء فيأخذون أزيد من الواجب، وذلك يوجب نقصان حق الغير. وفي القسمين حصل النقصان في حق الغير.

ثم قال لهم ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ (بخير) عام في جميع النعم أي: بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك، أو بنعمة من الله تعالى حقها أن تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكراً عليها[٣]. أو أراكم بخير فلا تزيلوه بما أنتم عليه من الشر[٤] وهو علة للنهي[٥] . ثم ارتقى في تعليل النهي عن التطفيف قائلاً ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ فالله توعدهم بعذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد، والمحيط من صفة اليوم في الظاهر، وفي المعنى من صفة العذاب، وذلك مجاز مشهور[٦]، كقوله تعالى "هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾"[٧]. واختلف في هذا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب تفسير القرآن، من سورة الواقعة، ج٩ ص٣٦ حديث رقم (٣٢٣٩) وقال عنه: حديث غريب لانعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

(٢) ذكر الوجهين الرازي في التفسير الكبير (٣٣/١٨).

(٣) انظر: الكشاف (٢٢٣/٣)، زاد المسير (١١٤/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٨٥/٩)، تفسير أبي السعود (٢٣١/٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص/٣٨٨).

(٤) تفسير أبي السعود (٢٣١/٤).

(٥) المرجع السابق.

(٦) التفسير الكبير (٣٣/١٨).

(٧) سورة هود آية (٧٧).

العذاب فقيل هو عذاب يوم القيامة، لأنه اليوم الذي نصب لاحاطة العذاب بالمعذبين.

وقال بعضهم: المراد منه عذاب الاستئصال في الدنيا، كما في حق سائر الأنبياء[١] وقال بعضهم: بل يدخل فيه عذاب الدنيا والآخرة[٢].

والذي يظهر لي من هذه الأقوال هو القول الثالث وهو جامع بين عذاب الدنيا والآخرة.

قال الرازي: (والأقرب: دخول كل عذاب فيه وإحاطة العذاب بهم كإحاطة الدائرة بما في داخلها فينالهم من كل وجه وذلك مبالغة في الوعيد كقوله "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ")[٣][٤].

ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه، كما إذا أحاط بنعيمه)[٥].

(وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ)[٦] أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً[٧] (وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ)[٨] (وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[٩].

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/١١٤)، التفسير الكبير (١٨/٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٨٥)، تفسير أبي السعود (٤/٢٣١).

(٢) التفسير الكبير (١٨/٣٤).

(٣) التفسير الكبير (١٨/٣٤).

(٤) سورة الكهف آية (٤٢).

(٥) البحر المحيط (٥/٣٢٩)، تفسير أبي السعود (٤/٢٣١).

(٦) سبق شرحه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى "فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ" [آية: ٨٥] (ص/٥)، وفي سورة الشعراء عند تفسير قوله تعالى: "أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ" [آية: ١٨١] (ص/١٨).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٣/١٩٩)، التفسير الكبير (١٨/٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٨٦).

(٨) سبق شرحه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: "ژ ڑ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ" [آية: ٨٥] (ص/٧)، وفي سورة الشعراء عند تفسير قوله تعالى: "وَلَا ﭨ ٱلنَّاسَ ﭪ" [آية: ١٨١] (ص/١٨).

(٩) سبق شرحه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: "ک ک ک ک" [آية: ٨٥] (ص/٧)، وفي سورة الشعراء عند تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" [آية: ١٨١] (ص/١٩).

ثم يلفتهم إلى قضية مهمة، وهي أن ما أبقاه الله لهم من حلال، وما أكرمهم به من رزق طيب هو خير لهم، بقوله ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي ما يبقى لكم من الحلال بعد التتره عما هو حرام عليكم[١] وذلك لأن الناس إذا عرفوا إنساناً بالصدق والأمانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه فيفتح عليه باب الرزق، وإذا عرفوه بالخيانة والمكر انصرفوا عنه ولم يخالطوه البتة فتضيق أبواب الرزق عليه[٢].

وإضافة (بقيت) إلى اسم الجلالة إضافة تشريف وتيمن[٣] وشرط في أن يكون البقية خيراً قوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وأما مع الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال، وجواب هذا الشرط متقدم[٤].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

أي وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها، وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً، وقد أعذرت حيث أنذرت[٥] والحفيظ: المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب[٦].

لكن قوم شعيب ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهز، وكان ردهم فيه من الشدة والعنف ما لا نجده في سورة الأعراف حيث إنهم فيها خيروه بين أن يخرجوه من بلده، أو أن يصير في ملتهم. وفي سورة الشعراء اقتصر قولهم على (أنه من المسحرين، وأنه بشر مثلهم، وليأتهم بالعذاب إن كان من الصادقين).

ولكن في سورة هود كان ردهم أشد عنفاً فهم أولاً وقد عرفوه عليه السلام كثير

---

(١) انظر: الكشاف (٢٢٤/٣)، زاد المسير (١١٥/٤)، التفسير الكبير (٣٥/١٨).

(٢) التفسير الكبير (٣٥/١٨).

(٣) التحرير والتنوير (٣١٢/١١).

(٤) البحر المحيط (٣٢٩/٥).

(٥) انظر: الكشاف (٢٢٥/٣)، المحرر الوجيز (١٩٩/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٨٦/٩)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٢)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٤)، روح المعاني (٤٢٢/١٢).

(٦) المحرر الوجيز (١٩٩/٣)، البحر المحيط (٣٢٩/٥).

العبادة فهم يخاطبونه منكرين مستهزءين: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

اختلف العلماء في معنى الصلاة على أقوال:

الأول: قالت فرقة: أرادوا الصلوات المعروفة، روي أن شعيباً عليه السلام كان أكثر الأنبياء صلاة[(١)].

الثاني: وقيل: أرادوا قراءتك[(٢)].

الثالث: وقيل: أرادوا أمساجدك[(٣)].

الرابع: وقيل: أرادوا أدعواتك[(٤)].

وقال ابن عطية[(٥)]: (وأقرب هذه الأقوال الأول والرابع)[(٦)].

وجعلوا الأمر من فعل الصلوات على وجه التجوز.

﴿أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ نص في أنهم كانوا يعبدون غير الله تعالى، وإشارة إلى أنه أمرهم بالتوحيد[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، الكشاف (٢٢٥/٣)، المحرر الوجيز (٢٠٠/٣)، زاد المسير (١١٦/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٨٧/٩)، تفسير النسفي (٢٠١/٢)، البحر المحيط (٣٣٠/٥)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٤)، روح المعاني (٤٢٢/١٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥١/٢)، تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٨٧/٩)، البحر المحيط (٣٣٠/٥)، فتح القدير (٥١٩/٢).

(٣) المحرر الوجيز (٢٠٠/٣)، البحر المحيط (٣٣٠/٥).

(٤) المرجعين السابقين.

(٥) ابن عطية: عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبومحمد (٤٨١-٥٤٢هـ) مفسر وفقيه أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالاحكام والحديث، من أشهر كتبه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). انظر: تاريخ قضاة الأندلس (ص/١٠٩)، الأعلام (٢٨٢/٣).

(٦) المحرر الوجيز (٢٠٠/٣).

(٧) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٢/٢)، تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، المحرر الوجيز (٢٠٠/٣) التفسير

﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْۖ﴾ إشارة إلى أنه أمرهم بترك البخس[١].

ثم أكد قوم شعيب سخريتهم وهزءهم بقولهم ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ وجاءت مؤكدة بحرف (إنّ) ولام القسم، وبصيغة القصر[٢].

ويحتمل أنهم وصفوه بهذين الوصفين (الحليم ــ الرشيد) على الحقيقة، أي: إنك للمتصف بهذين الوصفين، فكيف وقعت في هذا الأمر من مخالفتك دين آبائنا، وما كانوا عليه، ومثلك من يمنعه حلمه ورشده عن ذلك[٣].

ويحتمل أنهم وصفوه بالوصفين على جهة التهكم والسخرية، وإنما أرادوا وصفه بضديهما كقول الخزنة[٤] " ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ "[٥].

فما كان رد شعيب ــ عليه السلام ــ إلا أن قال لهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾. وهذا القول من شعيب عليه السلام مراجعة لطيفة لقومه، واستنزال حسن، واستدعاء رقيق، وهذا النوع يسمى استدراج المخاطب عند أرباب علم البيان، وهو نوع لطيف غريب المغزى[٦].

الكبير (٣٦/١٨)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٢)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٤)، فتح القدير (٥١٩/٢)، روح المعاني (٤٢٢/١٢).

(١) انظر: المراجع السابقة.

(٢) التحرير والتنوير (٣١٤/١١).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، المحرر الوجيز (٢٠١/٣)، زاد المسير (١١٧/٤)، التفسير الكبير (٣٦/١٨)، الجامع لأحكام القرآن (٨٧/٩)، تفسير النسفي (٢٠١/٢)، البحر المحيط (٣٣٠/٥).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٦/٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦٠/٣)، تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٢/٢)، تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٢)، تفسير النسفي (٢٠١/٢)، تفسير أبي السعود (٢٣٣/٤)، فتح القدير (٥١٩/٢).

(٥) سورة الدخان الآية (٤٩).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٢٠١/٣)، البحر المحيط (٣٣٠/٥).

وجواب الشرط الذي في قوله تعالى ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ محذوف تقديره: أخبروني أن كنت على حجة واضحة وبصيرة من ربي، وكنت نبياً على الحقيقة، أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان، والكف عن المعاصي، والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك[١] . وقوله (بينة) أشارة إلى ما أتاه الله من العلم والهداية والدين والنبوة[٢].

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ إشارة إلى ما أتاه الله من المال الحلال، فإنه يروى أن شعيب ــ عليه السلام ــ كان كثير المال[٣].

وقيل هي النبوة والحكمة أيضاً عبر عنهما بذلك تنبيهاً على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته[٤].

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾

أي لست أريد أن أفعل الشيء الذي نهيتكم عنه من نقص الكيل والوزن فأستأثر بالمال لنفسي وما أريد إلا إصلاح الجميع[٥].

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾

أي ما أريد إلا فعل الصلاح، أي أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخرتكم بالعبادة، وقال:

---

(١) انظر: الكشاف (٢٢٧/٣)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦٦٠/٢)، تفسير أبي السعود (٢٣٣/٤)، روح المعاني (٤٢٤/١٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣٧/١٨)، تفسير أبي السعود (٢٣٣/٤).

(٣) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٢/٢)، تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، الكشاف (٢٢٦/٣)، التفسير الكبير (٣٧/١٨)، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/٩)، تفسير النسفي (٢٠١/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٢)، فتح القدير (٥١٩/٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٢/٢)، الكشاف (٢٢٦/٣)، تفسير النسفي (٢٠١/٢)، البحر المحيط (٣٣١/٥)، فتح القدير (٥١٩/٢)، التحرير والتنوير (٣١٤/١١).

(٥) انظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج (٦٠/٣)، تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٢/٢)، المحرر الوجيز (٢٠١/٣)، التحرير والتنوير (٣١٥/١١).

«ما استطعت» لأن الاستطاعة من شروط العقل دون الإرادة[١].

و(ما) في قوله (ما استطعت) مصدرية، أي إن أريد إلا الإصلاح جهدي واستطاعتي[٢].

لما بين شعيب ـــ عليه السلام ـــ لقومه حقيقة عمله، أعقبه بإرجاع الفضل في ذلـــك إلى الله فقال: (وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ).

أي: وما توفيقي لدعائكم إلى عبادة الله وحده، وترك ما نهاكم عنه إلا بمعونة الله، أو مـــا توفيقي لأن تكون أفعالي مسددة موافقة لرضا الله إلا بمعونته[٣].

والتوفيق من الله: هو التسهيل والتيسير والمعونة[٤].

ثم أكد قوله: (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ).

توكلت، أي: اعتمدت[٥].

(أنيب) معناه: أرجع وأتوب وأستند[٦]. وقيل إن الإنابة الدعاء، ومعناه ولـــه أدعـــو[٧].

وفي الآية طلب التأييد من الله تعالى، وتهديد للكفار، وحسم لأطماعهم أن ينالوه بشر[٨].

ثم أنذر شعيب ـــ عليه السلام ـــ قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم قوم نوح وهود وصالح ولوط بقوله (وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ).

(لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ) الجُرْمُ: التعدي، والجُرْم: الذنب، وجَرَمَ، يَجْرِم واجترَم: كسب، وهـــو

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/٩١)، البحر المحيط (٥/٣٣١).

(٣) البحر المحيط (٥/٣٣٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/٤٥٢)، تفسير البغوي (٢/٣٩٨).

(٥) انظر: المرجعين السابقين، وزاد المسير (٤/١١٧)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٠).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٣/٢٠١)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٠)، البحر المحـــيط (٥/٣٣٢)، تفـــسير أبي السعود (٤/٢٣٤)، روح المعاني (١٢/٤٢٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٠).

(٨) انظر: الكشاف (٣/٢٢٨)، البحر (٥/٣٣٢).

يجرم لأهله: يتكسب، ويطلب ويحتال، وجريمة القوم: كاسبهم[١].

شقاقي معناه: مشاقتي وعداوتي[٢].

والمعنى من الآية: لا تكسبنكم معاداتكم إياي أن يصيبكم عذاب الاستئصال في الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح عليه السلام من الغرق، ولقوم هود من الريح العقيم، ولقوم صالح من الرجفة، ولقوم لوط من الخسف[٣].

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾.

فيه قولان[٤]:

القول الأول: المراد نفي البعد في المكان لأن بلاد قوم لوط قريبة من مدين.

القول الثاني: المراد نفي البعد في الزمان لأن إهلاك قوم لوط عليه السلام أقرب الإهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام.

ولا مانع من الجمع بين القولين، لأنهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً.

قال الرازي: (فإن القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله ومنازعته حتى لا يترل بكم مثل

---

(١) انظر: لسان العرب (٩٢/١٢) مادة (جرم).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣٩٨/٢)، المحرر الوجيز (٢٠٢/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٩٠/٩)، تفسير أبي السعود (٢٣٤/٤)، فتح القدير (٥٢٠/٢)، روح المعاني (٤٢٧/١٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٣/٢)، تفسير البغوي (٣٩٩/٢)، تفسير الطبري (١٢٥/١٢)، الكشاف (٢٢٨/٣)، التفسير الكبير (٣٩/١٨)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٢)، تفسير النسفي (٢٠٢/٢)، فتح القدير (٥٢٠/٢).

(٤) ذكر القولان: البغوي في تفسيره (٣٩٩/٢)، والطبري في تفسيره (١٢٦/١٢)، والزمخشري في الكشاف (٢٢٩/٣)، والرازي في التفسير الكبير (٣٩/١٨)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩٠/٩)، والنسفي في تفسيره (٢٠٢/٢)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٢)، وأبي السعود في تفسيره (٢٣٥/٤)، والشوكاني في فتح القدير (٥٢٠/٢)، والألوسي في روح المعاني (٤٢٨/١٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٢١٧/١١).

ذلك العذاب)[١].

ثم يرغبهم في رحمة الله والتقرب إليه بقوله ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: من عبادة الأوثان، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ من البخس والنقصان[٢] ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ بأوليائه[٣].

﴿وَدُودٞ﴾ في الودود معنيان[٤]:

أحدهما: أن الودود هو المحب لعباده.

الثاني: أن الودود بمعنى المودود أي: يحبه العباد لفضله وإحسانه.

وكلا المعنيان يطلقان في حق الله تعالى.

قال الجوهري[٥]: (ودَدتُ الرجل أودُّه وُدًّا، إذا أحببته، والوُّد المودةُ والوُدودُ: المحبّ)[٦].

ورغم هذا التلطف، وهذه المراجعة الحسنة اللطيفة، إلا أن قومه يمعنون في الضلال والاستكبار وأجابوه في غاية الجهالة ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ جعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه[٧].

والمعنى أي: ما نفهم، لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور، وتعظنا بما لا

---

(١) التفسير الكبير (٣٩/١٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ذكر المعنيان ابن المظفر في تفسير القرآن (٤٥٣/٢)، والبغوي في تفسيره (٣٩٩/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١١٨/٤)، والألوسي في روح المعاني (٤٢٩/١٢).

(٥) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (.....، ٣٩٣هـ) لغوي من الأئمة اشهر كتبه (الصحاح)، و(العروض)، ومقدمة في (النحو). انظر: الأعلام (٣١٣/١).

(٦) انظر: الصحاح (٥٤٩/٢) مادة (ودد).

(٧) انظر: البحر المحيط (٣٣٣/٥)، تفسير أبي السعود (٢٣٥/٤)، روح المعاني (٤٢٩/١٢).

عهد لنا بمثله.

وقيل: قالوا ذلك استهانة به ـــ عليه السلام ـــ كما يقول الرجل لمـــن لا يعبـــأ بـــه: لا أدري ما تقول[١].

ولجأ قومه إلى التهديد والوعيد بقولهم ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ الضعيف هو الأعمى بلغة حمير[٢]، وقيل: ضعيف البدن[٣].

وهذا كله ضعيف ولا تقوم به حجة بضعف بصره أو بدنه وفيه منافاة للعصمة. فـــالعمى صفة نقص في الإنسان، والله تعالى نزه الأنبياء والمرسلين عن ذلك، فما من نبي لله عز وجـــل إلا وكان كاملاً من حيث الخَلق والخُلق.

قال ابن عاشور[٤]: (لم يعرف من الأثر ولا من كتب الأولين ما فيه أن شـــعيباً ـــ عليـــه السلام ـــ كان أعمى)[٥].

والظاهر من قولهم (ضعيفاً) أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطـــه الكفـــرة كـــان يراعون فيه[٦]. ويؤيده قوله ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (رهـــط) أصـــل

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٢٣٠)، التفسير الكبير (١٨/٤٠)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٩١)، فـــتح القـــدير (٢/٥٢٠)، روح المعاني (١٢/٤٢٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٦١)، تفسير القرآن لأبي المظفـــر (٢/٤٥٣)، تفـــسير البغـــوي (٢/٣٩٩)، المحرر الوجيز (٣/٢٠٢)، زاد المسير (٤/١١٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٩١)، فتح القدير (٢/٥٢٠)، روح المعاني (١٢/٤٣٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/٤٥٣)، المحـــرر الـــوجيز (٣/٢٠٢)، الجـــامع لأحكـــام القـــرآن (٩/٩١).

(٤) ابن عاشور: محمد بن الطاهر عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتـــونس، مولده ووفاته (١٢٩٦-١٣٩٣هـــ) ودراسته بها، من أشهر مصنفاته (مقاصـــد الـــشريعة الإســـلامية) (التحرير والتنوير). انظر: الأعلام (٦/١٧٤).

(٥) التحرير والتنوير (١١/٣١٩).

(٦) المحرر الوجيز (٣/٢٠٢).

الكلمة من الرهط، وهم عشيرة الرجل وأهله، وقيل: الرهطُ من الرجال وقيل: إلى الأربعين ولا يكون فيهم امرأة، ومنه الرهطاء لحجر اليربوع وهي أول حفيرة يحتفرها[1] وإنما جعلوا رهطه مانعاً من إنزال الضرر به مع كونهم في قلة والكفار ألوف مؤلفة، لأنهم كانوا على دينهم فتركوه احتراماً لهم لا خوفاً منهم.

(لرجمناك) لقتلناك بالرجم، وكانوا إذا قتلوا إنساناً رجموه بالحجارة[2]. وقيل: لشتمناك[3] والرجم أيضاً اللعن، ومنه الشيطان الرجيم[4].

ويظهر لي في معنى قوله (لرجمناك) القول الأول لأنه أقرب إلى المعنى.

قال ابن عطية عنه: (وهو الظاهر)[5].

ثم أكدوا ما وصفوه به من الضعف بقولهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ) أي: ما أنت علينا بغالب ولا قاهر ولا ممتنع[6].

ولما تضمن كلام قوم شعيب ــ عليه السلام ــ أن رهطه أعز عليهم من الله، استنكر ذلك عليهم وتعجب منه بصورة الاستفهام بقوله (قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ) والمعنى أرهطي في قلوبكم أعظم وأجل من الله وهو يملككم[7].

---

(١) انظر: لسان العرب (٣٠٦/٧) مادة (رهط).

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٤/٢)، تفسير البغوي (٣٩٩/٢)، تفسير الطبري (١٢٧/١٢)، زاد المسير (١١٩/٤)، التفسير الكبير (٤١/١٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩١/٩)، تفسير النسفي (٢٠٢/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٨/٢)، فتح القدير (٥٢٠/٢)، روح المعاني (٤٣١/١٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢٧/١٢)، زاد المسير (١١٩/٤)، التفسير الكبير (٤١/١٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩١/٩)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٨/٢)، البحر المحيط (٣٣٣/٥)، فتح القدير (٥٢٠/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٩١/٩)، فتح القدير (٥٢٠/٢).

(٥) المحرر الوجيز (٢٠٢/٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٩١/٩).

(٧) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤٥٤/٢)، تفسير البغوي (٣٩٩/٢)، التفسير الكبير ٤١/١٨، الجامع لأحكام القرآن (٩١/٩)، تفسير أبي السعود (٢٣٦/٤)، روح المعاني (٤٣٢/١٢).

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي اتخذتم أمر الله الذي أمرني به بإبلاغه إليكم وهو ما جئتكم به وراء ظهوركم[١].

وظهرياً منسوباً إلى الظهر، والظهر من كل شيء: خلاف البطن. والظهريُّ: الذي تنساه وتغفل عنه، ويقال اتخذ حاجته ظهرياً استهان بها كأنه نسبها إلى الظهر، على غير قياس[٢].

قال الزجاج: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ «أي: نبذتموه وراء ظهوركم، والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمرٍ قد جعل فلان الأمر بظهره»[٣].

والضمير في (واتخذتموه) راجع إلى الله، والمعنى: واتخذتم الله عز وجل بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذي أرسله إليكم (وراء ظهوركم) أي: منبوذاً وراء الظهر لا تبالون به[٤]. ثم توجه شعيب بالتهديد لقومه في قوله (إن ربي بما تعملون محيط) أي أنه سبحانه قد أحاط علماً بأعمالكم السيئة التي من جملتها رعايتكم جانب الرهط دون رعاية جنابه جل جلاله فيّ فيجازيكم على ذلك[٥].

(محيط) أي عليم، وقيل: حفيظ[٦].

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

لما رأى إصرارهم على الكفر وتصميمهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم توعدهم بأن يعملوا على غاية تمكنهم ونهاية استطاعتهم، وأخبرهم أنه عامل على حسب ما يمكنه ويقدر الله له[٧].

---

(١) فتح القدير (٢/٥٢١).

(٢) انظر: لسان العرب (٤/٥٢٢) مادة (ظهر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٦١).

(٤) فتح القدير (٢/٥٢٠-٥٢١).

(٥) روح المعاني (١٢/٤٤٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٢).

(٧) فتح القدير (٢/٥٢١).

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ .

بالغ شعيب ـ عليه السلام ـ في التهديد والوعيد بقوله ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي عاقبة ما أنتم فيه من عبادة غير الله والإضرار بعباده[١] .

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي يهلكه[٢]. وصف العذاب بالإخزاء تعريضاً بما أوعدوه عليه السلام به من الرجم فإنه يكون عذاباً فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه[٣].

﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أي: سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط[٤].

﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ فيه تصريح بالوعيد، أي: انتظروا العذاب والسخطة، فإني منتظر النصر والرحمة[٥].

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ قيل صاح بهم جبريل صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم[٦] ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قدم تنجيته عليه السلام اهتماماً بشأنها بسبق الرحمة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/٤٥٥)، تفسير البغوي (٢/٣٩٩)، تفسير الطبري (١٢/١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٢).

(٣) تفسير أبي السعود (٤/٢٣٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٤/٢٣٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/٤٥٥)، الكشاف (٣/٢٣١)، المحرر الوجيز (٢/٢٠٤)، التفسير الكبير (١٨/٤٢)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٩٢)، تفسير النسفي (٢/٢٠٣)، البحر المحيط (٥/٣٣٥)، فتح القدير (٢/٥٢١).

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٦٢)، والمراجع السابقة.

التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب جرائرهم وجرائمهم[١].

(برحمة منا) إما أن يقصد الإخبار عن الرحمة التي لحقت شعيباً لنبوته وحسن عمله وعمل متبعيه، وإما أن يقصد أن النتيجة لم تكن إلا بمجرد رحمة لا بعمل من أعمالهم[٢] ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾[٣].

﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ الا: تنبيه للسامع[٤]. قال النحاس[٥]: المعروف في اللغة أنه يقال: بَعَد يبعدُ بَعداً وبُعداً إذا هلك[٦].

وقال المهدوي[٧]: من ضم العين من (بعدت) فهي لغة تستعمل في الخير والشر، ومصدرها البعد، وبعدت تستعمل في الشر خاصة، يقال بعِد، يَبعد بعداً، فالبعد على قراءة الجماعة اللعنة[٨].

﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

الا أبعد الله مدين من رحمته بإحلال نقمته كما بعدت ثمود من رحمته بإنزال سخطه

---

(١) تفسير أبي السعود (٢٣٧/٤).

(٢) المحرر الوجيز (٢٠٤/٢).

(٣) تقدم تفسيره في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: "فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" [آية: ٧٨] (ص/١٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦٢/٣).

(٥) النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، (... ٣٣٨هـ) مفسر أديب، مولده ووفاته بمصر، كان من نظراء ابن الأنباري، زار العراق واجتمع بعلمائه، من أشهر كتبه (تفسير القرآن)، (إعراب القرآن)، (معاني القرآن). انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥)، بغية الوعاة (٣٦٢/١).

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٠/٢.

(٧) المهدوي: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم، فقيه مالكي، من أهل المهدية بالمغرب، نزل بفاس وتوفي بها سنة ٥٩٥هـ، له كتاب (الهداية). انظر: الأعلام (٢٩٦/٥).

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٩٣/٩.

لهم[١].

وأنما شبه هلاكهم هلاكهم لأن عذاب كل كان بالصيحة[٢] ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد بذم ثمود لأنهم كانوا أشد جرأة في مناورة رسل الله، فلما هيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدها كفراً وعناداً فشبه هلك مدين بهلكهم[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٣١/١٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٤٢/١٨)، تفسير أبي السعود (٢٣٨/٤)، روح المعاني (٤٣٧/١٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣٢٣/١١).

المبحث الثالث: قصة شعيب في سورة العنكبوت

قال تعالى: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ "

(وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ)[١].

سورة العنكبوت، وهي سورة الدعاة، لأنها جاءت تبين ركائز الدعوة ومعوقاتها وذلك بإشارات مؤجزة كافية وجاءت قصة شعيب فيها مجملة مؤجزة بأمر شعيب قومه فيها أن يعبدوا الله، ويرجوا اليوم الآخر، وهو بهذا النص يذكر لأول مرة، ولكنهم يكذبونه فتأخذهم الرجفة.

(وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ) أي: صدقوا به فإن القوم كانوا ينكرونه[٢].

قال المفسرون: اخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال[٣].

(وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ[٤]، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ)[٥].

---

(١) سبق تفسيره في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا " [الآية:٨٥] (ص/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣/١٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤٦٧/٣)، المحرر الوجيز (٣١٦/٤)، زاد المسير (١٣١/٦)، تفسير أبي السعود (٣٩/٧).

(٤) سبق تفسيره في سورة الشعراء عند تفسير قوله تعالى: " وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " [الآية:١٨٣] (ص/١٩).

(٥) سبق تفسيره في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: " فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ " [الآية:٧٨] (ص/١٥).

الخاتمة

في ختام هذا البحث، أحمد الله ـ عز وجل ـ الذي بنعمته تتم الصالحات وأشكره على أن وفقني وأمدني بعون منه لأكمله، وأصلي وأسلم على خير خلقه المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

فأهم النتائج التي توصلت إليها:

١- تتلخص رسالة شعيب ـ عليه السلام ـ في دعوة قومه لعبادة الله وهدايتهم وإصلاح أنفسهم ومجتمعهم وإلى عدم الفساد في الأرض ... وقد بين الله لنا أن شعيباً ـ عليه السلام ـ كان أميناً في تبليغ رسالة ربه إلى قومه قال تعالى: "كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ "(1). وقد رتب سبحانه وتعالى على الأمانة والصدق وجوب الطاعة والتقوى "فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ "(2).

٢- أنزل الله سبحانه وتعالى في قصة شعيب ـ عليه السلام ـ دروساً اقتصادية في المكاييل والموازين في صورة أوامر ونواه، بل وعقوبات رادعة للمخالفين، وما ذكرت هذه الدروس الاقتصادية في القرآن إلا لتكون لنا أساساً نبني عليه مجتمعنا دينياً من ناحية التوحيد، واقتصادياً من ناحية العدل في التعامل والإصلاح في الأرض.

٣- دعوة شعيب ـ عليه السلام ـ بإيفاء الكيل والميزان، والوزن بالقسطاس والعدل والحق دعوة صريحة واضحة للابتعاد عن الحرام والغش، وأن نقنع بالرزق الحلال فهو سبيل الخير والفلاح. فهذه هي المبادئ السامية لمن شاء أن يستقيم "أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا

---

(١) سورة الشعراء الآيات (١٧٦-١٧٨).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٩).

تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "(١).

٤- أن على المشرع الالتزام بما يشرع قبل أن يلزم غيره " قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ "(٢). إنها الآيات البينات التي تؤكد صدق المرسل "أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي " كما تؤكد على أن الرزق الحسن ما كان حلالاً ... بل إنها لتوجب صدق النية " إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ " وعلى أن جهد البشر محدود " وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ " .

٥- إشارات قصص القرآن إلى التحذير مما حدث وأصاب الأقوام السابقة عندما ضلوا وأعرضوا ... وبالتالي فإنه لمن الواجب علينا أن نتعظ ونتعلم وندرك ونتفهم الحقائق التي أكدها الرسل والأنبياء من قبل من خلال دعوتهم للتوحيد وطاعة الله فيما أمر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الإفساد في الأرض .... ففي ذلك كله دروس مستفادة في حياتنا اليومية بكل جوانبها " وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ " (٣).

٦- بين الله لنا في قصة شعيب ــ عليه السلام ــ أن قومه ارتكبوا ذنوباً ومعاصي تخالف شريعة الله، وقد بين شعيب ــ عليه السلام ــ لهم نتيجة عملهم وأفعالهم وما ينتظرهم من عقاب في الآخرة ... ومن ذلك نستفيد بأن نبتعد عن كل ما نهى الله تبارك عنه حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا وحتى النجاة برحمة من الله. قال تعالى: " وَيَٰقَوْمِ

---

(١) سورة الشعراء الآيات (١٨١-١٨٣).

(٢) سورة هود الآية (٨ ٨).

(٣) سورة هود آية (٨٩).

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ "[1].

٧- قوم شعيب ــ عليه السلام ــ كانوا يرونه فيهم ضعيف لا يستحق أن يعزوه ويجلّوه، ولكنه عليه السلام صبر وصابر. وثبت على أمر الله إلى أن أخذتهم الصيحة، وذلك جزاء المعرضين المكذبين.

٨ – اتصف شعيب ــ عليه السلام ــ في دعوته لقومه بالمهارة في القول والحكمة في الدعوة، وحسن مراجعة لما يريد تقريره من أمور.

٩- عرضت قصة شعيب ــ عليه السلام ــ حسب نزول السور والآيات وليس حسب وجودها في الترتيب الموجود الآن في المصحف.

التوصيات:

١-أن تتدخل الحكومات الإسلامية بسلطتها الشرعية في مراقبة الأسواق لإقامة الحق والعدل بين البائع والمشتري فيما يتعلق بالوزن حيث أنه لا تلاعب ولا حيل في الوزن بل تعامل بالقسطاس، كما قال تعالى " ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ "[2].

٢-تفعيل دور أئمة المساجد والوعاظ وكذلك وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية بالنصح والإرشاد، وتوجيه التجار لإتباع شريعة الإسلام، وما بينه الله لإقامة الحق والعدل في الكيل والميزان بتذكيرهم بما حدث لقوم شعيب نتيجة فسادهم في الأرض.

٣-أن تتوفر الحماية الأمنية في أسواقنا وطرق تجارتنا بين القرى والمدن، وكذلك بين الدول يجنبها ما يحدث من غش أو تلاعب أو تسيب أو قطاع طرق.

---

(١) سورة هود الآيتان (٩٣-٩٤).

(٢) سورة الشعراء آية (١٨٢).

المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ، (١٤٢٦هـ).

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤١١هـ).

٣- إعراب القرآن، للنحاس. تحقيق: زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٣، (١٩٨٨م).

٤- الإعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، (١٩٩٢م).

٥- الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، تحقيق: د.عبدالمجيد قطامش، مكة المكرمة، ط١، (١٤٠٣هـ).

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي الخير عبدالله عمر البيضاوي، بيروت، دار صادر.

٧- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د.عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٩٧٩م).

١٠- تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن الأندلسي النباهي، المكتب التجاري، بيروت.

١١- التذكرة في القراءات الثمان، لطاهر بن علبون، دراسة وتحقيق: أيمن سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١، (١٤١٢هـ).

١٢- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ).

١٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، عالم الكتب، بيروت (١٩٨٥م).

١٤- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، (١٤١٨هـ).

١٥- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،للإمام محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٠م).

١٦- تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله أحمد النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٨٨م).

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بنت معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).

١٨- جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي، دار الفكر، بيروت، ط٢.

٢٠- حجة القراءات، للإمام أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٣٩٩هـ).

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: د.السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٦هـ).

٢٢- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).

٢٣- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د.شوقي حنيف، دار المعارف، مصر، ط٢.

٢٤- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تعليق: عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٢٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، (١٤١٧هـ).

٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، (١٩٨٤م).
٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
٣٠- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، ط٥، (١٤٠٨هـ).
٣١- الغاية في القراءات العشر، لأحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، تحقيق: محمد غياث الجنباز، راجعه: سعيد عبدالله العبد الله، العبيكان للنشر، الرياض، ط١، (١٤٠٥هـ).
٣٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، راجعه:قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ).
٣٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
٣٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد، لأبي العز الهمداني، تحقيق الدكتور محمد حسن النمر، دار الثقافة، الدوحة، ط١، (١٤١١هـ).
٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤١٨هـ).
٣٦- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٢، (١٩٩٢م).
٣٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٣م).
٣٨- المستنير في القراءات العشر، للإمام أحمد بن علي بن عبيد الله البغدادي، تحقيق

ودراسة: د.عمار أمين الداود، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات، ط١، (١٤٢٦هـ).

٣٩- معالم التنزيل، للبغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبدالله النمر، وعثمان ضميرية، دار طيبة، الرياض، ط٢، (١٤١٤هـ).

٤٠- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ).

٤١- معاني القرآن، للفراء، عالم الكتب، ط٣ (١٤٠١هـ).

٤٢- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه. لفيف من المستشرقين، لندن، مطبعة بريل، (١٩٦٧م).

٤٤- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، (١٣٨٩هـ).

٤٥- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٤٦- المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبيّ الله شعيب، د.نواف بن صالح الحليبي، ط٢، (١٤١٣هـ).

٤٧- المهذب في القراءات العشر، د.محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر. ط٢، (١٣٨٩هـ).

٤٨- النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري، دار الفكر، بيروت.

٤٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ)